

الدكتور كيفن إي فريديك، الوالدنسيون، المحاضرة 11 الرب الحامي، أوليفر كرومويل

كيفن فريديك وتيد هيلدبراندت © 2024

هذا هو الدكتور كيفن فريديك في تعليمه عن تاريخ الوالدنسيين. هذه هي الجلسة 11، اللورد الحامي، أوليفر كرومويل.

هذه العظة الخاصة بعنوان اللورد الحامي، أوليفر كرومويل.

يتناول هذا الكتاب قصة شعب الوالدنسيين وكيف كان لكرومويل وأمينه جون ميلتون تأثير كبير في المساعدة على الحفاظ على الوالدنسيين خلال فترة الاضطهاد الشديد. ولكن لكي أبدأ بهذا، سأنظر إلى رسالة كورنثوس الثانية، بدءًا من الفصل الرابع من الآية الأولى وحتى الآية السابعة. لذلك، بما أننا منخرطون في هذه الخدمة برحمة الله، فلا نفقد الأمل.

لقد تخلينا عن الأشياء المخزية التي يخفيها الإنسان. نرفض ممارسة المكر أو تزوير كلمة الله. ولكن من خلال التصريح العلني بالحقيقة، نوصي أنفسنا أمام ضمير كل إنسان في نظر الله.

وإن كان إنجيلنا محجوبًا، فهو محجوب عن الهالكين، لأن إله هذا الدهر قد أعمى أذهان غير المؤمنين، لكي لا يروا نور الإنجيل ومجد المسيح الذي هو صورة الله، لأننا لا نعلن أنفسنا

نحن نعلن أن يسوع المسيح هو الرب، وأنا عبيد لك من أجل يسوع. لأن الله الذي قال: ليشرق نور من "الظلمة، هو الذي أظهر في قلوبنا لإنارة معرفة مجد الله في وجه يسوع. ولكن لنا هذا الكنز في أوعية خزفية لكي يتضح أن هذه القدرة غير العادية هي لله وليست منا.

هذه هي كلمة الرب. الحمد لله. في منتصف القرن السابع عشر، كان أوليفر كرومويل أقوى رجل في إنجلترا وربما أقوى زعيم بروتستانتي في أوروبا كلها.

بعد عقد من الزمان من قيادة جيش إنجلترا البروتستانتي إلى انتصارات متكررة على جيش ملك إنجلترا تشارلز الأول، دفعته شعبية كرومويل إلى أعلى منصب في البلاد. انتُخب في عام 1653 لحكم كومنولث إنجلترا بصفته اللورد الحامي لإنجلترا. وخلال السنوات الخمس القصيرة من ولايته كحامي للملك، قاد كرومويل إنجلترا نحو تبني المبادئ الديمقراطية التي تصب في صالح عامة الناس.

خلال تلك الفترة القصيرة من الزمن، لعب كرومويل أيضًا دورًا رئيسيًا في بقاء الوالدنسيين. كان كرومويل واحدًا من أبرز الحكام في تاريخ أوروبا الحديث، ويرجع ذلك جزئيًا إلى حقيقة أنه كان زعيمًا عسكريًا وسياسيًا قويًا وجزئيًا بسبب القوة القسرية لشخصيته التي خلقت تناقضات في أسلوب قيادته، والذي كان يتأرجح عند تنفيذه بين القسوة والإحسان. بصفته قائدًا عسكريًا، كان استراتيجيًا لامعًا.

كان كرومويل شرسًا ولا يرحم في اضطهاده لأعدائه الكاثوليك، وخاصة في أيرلندا. من ناحية أخرى، في سنواته الأخيرة، دعا في البرلمان إلى التسامح الديني مع الطوائف البروتستانتية المعارضة. أظهر كرومويل طبيعة رحيمة لحلفائه السياسيين، لكنه كان أيضًا شرسًا مع أعدائه السياسيين من خلال إذلالهم في قاعة البرلمان. وفي بعض الحالات، كان يضغط على المعارضين السياسيين حرفيًا للتصويت لصالح سياساته.

ولكي نفهم صعوده السريع إلى السلطة والدور الحيوي الذي لعبه مع الوالدنسيين، يتعين علينا أولاً أن نستكشف القضايا التي أثرت على إنجلترا في أربعينيات القرن السابع عشر. فعلى مدى فترة تقرب من مائة عام من أربعينيات القرن السادس عشر إلى أربعينيات القرن السابع عشر، بذلت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، رداً على حركة الإصلاح البروتستانتي، جهوداً هائلة في إصلاح نفسها في محاولة لمعالجة العديد من الانتقادات التي وجهها إليها كبار علماء اللاهوت البروتستانت، ومحاولة اجتذاب العديد من المتحولين الذين أصبحوا مسيحيين بروتستانت. وقد أطلق على هذه الفترة التاريخية اسم الإصلاح المضاد.

بالتزامن مع الإصلاح المضاد، ولعدة عقود تلت ذلك، ردت الكنيسة الكاثوليكية، بالتعاون مع الملوك الكاثوليك في مختلف أنحاء أوروبا، الذين كانوا جزءاً من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، بالقوة العسكرية ضد التأثيرات الواسعة النطاق للإصلاح البروتستانتي. وخلال الإصلاح المضاد، وفي العديد من الدول في أوروبا خاضت الجيوش الكاثوليكية معارك ومذابح إبادة في محاولة للقضاء على النفوذ البروتستانتي في الإمبراطورية الرومانية المقدسة. وفي إنجلترا، دعت سياسات الملك تشارلز الأول إلى حكم كاثوليكي قاسٍ لاستعادة السيطرة على البلاد.

، وجد الملك والموالون له أنفسهم في معارضة شديدة للبرلمان الذي يسيطر عليه البروتستانت. ونتيجة لهذا اندلعت حرب أهلية في إنجلترا عام 1642 بسبب السؤال الأكثر جوهرية حول كيفية حكم البلاد. وبحلول هذه النقطة من الزمن، كان كرومويل هو القائد العسكري الرئيسي للجيش البروتستانتي في إنجلترا.

كان الملك تشارلز وجيشه من عامة الناس، الجيش النموذجي الجديد، يطلق عليهما بسخرية اسم "الرؤوس المستديرة" بسبب شعرهم القصير وبسبب استبعادهم البرلماني للأساقفة والكاثوليك، النبلاء من مجلس اللوردات. وفي المقابل، كان جيش الملك يتألف إلى حد كبير من ملاك الأراضي الأثرياء، وكانت نسبة كبيرة من جنودهم يمتلكون الخيول. أما البروتستانت، الذين كانوا على دراية بقوات الفرسان الإسبانية، والتي كانت قد شنت قبل بضع سنوات حملة وحشية من الاضطهاد ضد البروتستانت الهولنديين، فقد بدأوا في الإشارة "بشكل مهين إلى قوات الملك تشارلز باسم "الكاباليروس".

وهو المصطلح الساخر الذي اكتسب، "Cavaliers" في اللغة الإنجليزية هو "Caballeros" إن مصطلح وسرعان ما، "Cavaliers" شعبية كبيرة بين الجيش البروتستانتي. ولكن الملك تشارلز الأول أحب مصطلح باعتباره لقباً للفخر العسكري. وتحت قيادة، "Cavaliers"، تبني الملك وفرسانه الموالون هذا المصطلح كرومويل بصفته ملازماً عاماً وقائده المشارك السير توماس فيرفاكس، كان جيش البرلمان الجديد الذي يبلغ قوامه 20 ألف جندي مستعداً لمواجهة جيش الملك من الفرسان.

كان كرومويل، الذي وصفه أعداؤه بأنه متعصب دينياً، يحكم جيشه بانضباط بيوريتاني صارم، والذي تضمن الممارسة اليومية لغناء الترانيم، والاستماع إلى الخطب، والامتناع عن شرب أي نوع من الكحول. سخر الملكيون من الجيش النموذجي الجديد ووصفوه بالشعرية بسبب هز رؤوسهم باستمرار في الصلاة، لكن الانضباط البيوريتاني جعل القوات البروتستانتية جيشاً منظمًا جيدًا ومركزًا جيدًا. في معركة تلو الأخرى مع قوات الملك، انتصر الجيش النموذجي الجديد.

وقعت المعركة الحاسمة في الحرب الأهلية في الرابع عشر من يونيو عام 1645 في ناسبي، حيث أسرت قوات كرومويل خمسة آلاف سجين وكثيراً من المجوهرات الملكية بقيمة مائة ألف جنيه إسترليني. كما استعادوا المراسلات الخاصة للملك، والتي أظهرت محتوياتها الخيانية النهائية للملك تجاه رعيته البروتستانت. وقد امتلأ كرومويل والبروتستانت في البرلمان بسخط شديد واستخدموا المراسلات الخاصة للملك لإدانته.

لقد أرغم كرومويل البرلمان على التوقيع على حكم الإعدام الصادر بحق الملك. فقد صاح في البرلمان وأسقط أوراق التنازل عن العرش، ورش عليها الحبر، وفي إحدى الحالات، أمسك بيد أحد المتشككين حتى وقع على

الوثيقة. وقد تم منع كل المواليين للملك وحلفائه من حضور محاكمة الملك في ما أصبح يعرف باسم "تطهير الكبرياء".

قام كرومويل المتشدد بمحاكمة الملك ووجده مذنبًا باعتباره طاغية وخائنًا وقاتلاً وعدواً عامًا لشعب هذه الأمة الطيب. حُكم على الملك تشارلز الأول بالإعدام بقطع رأسه بسبب جرائمه ضد الشعب. ومع ذلك، كان لإعدامه تأثير صادم على شعب إنجلترا.

كان الحشد الذي تجمع لمشاهدة إعدامه مذهولاً ومذهولاً عندما شاهد تنفيذ حكم الإعدام على ملكهم كانت مجرد فكرة إعدام ملك إنجليزي مزعجة للغاية بالنسبة لعامة الناس، على الرغم من أنهم لم يوافقوا على العديد من القرارات التي اتخذها في عهده. كان تشارلز الأول هو الملك الإنجليزي الوحيد الذي حكم عليه بالإعدام وأعدم.

كان إعدام تشارلز الأول الحدث الأكثر بروزاً في تاريخ إنجلترا، وكان أوليفر كرومويل هو الرجل الأكثر بروزاً في تاريخ إنجلترا. فقد انتصر كرومويل، زعيم البروتستانت، على الطبقة الأرستقراطية وفرض قدراً من السيطرة الدينية الصارمة على الأمة، وهو ما يعكس مذهب كرومويل الكالفيني العميق والمتشدد. وأسفرت سلسلة من عمليات التصويت بعد إعدام تشارلز الأول عن إلغاء كل من النظام الملكي ومجلس اللوردات في البرلمان، وفي مايو/أيار 1649، أعلنت إنجلترا دولة مستقلة.

على مدى العامين التاليين، قاد كرومويل حملات قاسية في أيرلندا لقمع الثورة الكاثوليكية الأيرلندية هناك وذبحت قواته قرى بأكملها وكانت وحشية للغاية ضد الكاثوليك لدرجة أن الاستياء من اسم كرومويل بين الكاثوليك الأيرلنديين لا يزال قائماً في العصر الحديث. وعلى مدار الحرب الأهلية الإنجليزية التي استمرت ست سنوات، انتصر البروتستانت راوندهيدس، تحت قيادة كرومويل، في ثلاثين معركة متتالية، بينما لم يحقق الفرسان انتصاراً واحداً.

طوال فترة الحرب الأهلية التي استمرت ست سنوات، كان كرومويل يحظى بإشادة واسعة النطاق لعبقريته العسكرية كما عاد إلى لندن منتصراً من معركة ميدانية. ونتيجة لذلك، حث العديد من أتباعه كرومويل مرارًا وتكرارًا على الاستيلاء على التاج البريطاني، لكنه رفض بشدة وبشكل متكرر، وأصر على أن التتويج سيكون ضد، كل ما كان يمثله كزعيم للشعب وكمدافع عن المبادئ الأساسية للديمقراطية والتطهير. في ديسمبر 1653 انتُخب كرومويل حاميًا لورد إنجلترا، وعندما قبل لقبه، ارتدى ملابس سوداء عادية لمنع الحدث من أن يُنظر إليه على أنه تتويج.

من على هامش السلطة السياسية، روج كرومويل، القائد العسكري، للإصلاح الديني باعتباره كالفينيًا صارمًا ولكن بمجرد انتخابه لقيادة البرلمان، أصدر كرومويل سلسلة من القواعد المعتدلة والإصلاحات التقدمية داخل الأمة، وأعاد توزيع السلطة والفرصة على الطبقة المتوسطة المتنامية. كان كرومويل يشغل منصب اللورد الحامي لإنجلترا لمدة ستة عشر شهرًا فقط عندما وصلت أنباء مذبحة عيد الفصح عام 1655 التي ارتكبت ضد الوالدنسيين في أوطانهم إلى السنوات في أوائل مايو من ذلك العام نفسه.

استجاب كرومويل وسكرتيره جون ميلتون بسرعة، وسرعان ما ترددت أنباء المذبحة في جميع أنحاء الدول البروتستانتية في أوروبا. هذا هو التقاطع بين أوليفر كرومويل وشعب الوالدنسيين، نتيجة للطاعون الأسود الذي اجتاحت سكان الوالدنسيين في ثلاثينيات القرن السابع عشر في جميع أنحاء جبال الألب الكوتية، حيث مات أربعة عشر من ستة عشر قسًا والدينيًا تم تعيينهم، مما ترك المجتمعات ذات الإيمان الكامل في جميع أنحاء المنطقة خالية من الزعامة الروحية.

واستجابة لطلب المساعدة من جنيف، أرسلت الكنيسة الإصلاحية السويسرية أربعة عشر قسًا هوغونوتيًا جديدًا ناطقًا بالفرنسية من المدرسة اللاهوتية في جنيف لشغل المنابر الشاغرة في أبرشيات الوالدنسيين وعلى مدى العقدين التاليين، تصاعدت التوترات بين المجتمعات الوالدنسيين، بقيادة قساوسة سويسريين إصلاحيين مفوهين، ضد ملكهم الكاثوليكي، دوق سافوي، الذي نظر إلى رعاياه الوالدنسيين باعتبارهم تهديدًا دينيًا وسياسيًا. وبمرور الوقت، قمع آل سافوي بشكل متزايد الحريات التي مُنحت للوالدنسيين في معاهدة كافور في عام 1561.

بحلول أوائل خمسينيات القرن السابع عشر، أدى تسامح الدوق الكاثوليكي تجاه الرعايا الوالدنسيين إلى إصدار أمر بفرض قيود صارمة على الوالدنسيين في أوطانهم وحولها. وقد أُجبر أكثر من 1000 عائلة والدينية التي توسعت للعيش في المناطق الحدودية لأوطانها على العودة إلى الحدود الجغرافية لما أصبح يُعرف باسم غيتو الوالدنسيين. واشتد التوتر ونشأت النزاعات على الجانبين وسرعان ما استجاب آل سافوي بإصدار أوامر لأربعة آلاف جندي سافوي تحت قيادة ماركيز دي بينيز بالتوجه إلى الوديان بهدف غير معلن وهو إزالة جميع الوالدنسيين تمامًا وإعادة ملء أوطانهم بالموالين الكاثوليك.

بينيز قائدًا عسكرياً عديم الضمير وغير فعال، وكانت قيادته غير المنضبطة سبباً في خلق حالة من الفوضى والاضطراب في تنفيذ أوامره ضد الوالدنسيين. كما ضمت قوات بينيز في سافوي مجموعة من القوات الكاثوليكية الأيرلندية الغاضبة التي كانت تنتقم من الاضطهاد الوحشي الذي تعرضت له الكاثوليك الأيرلنديون على يد قوات كرومويل قبل بضع سنوات. وقد ابتكر بينيز وقادته خطة مكررة للتسلل إلى المجتمعات الوالدنسية من خلال إجبار كل أسرة والدينية على إيواء القوات في منازلها، مع الوعد بإجراء مفاوضات من أجل التوصل إلى تسوية سلمية.

ولكن الجنود المتمركزين في منازل المواطنين الوالدنسيين كانوا في حالة تأهب للاستيقاظ في الرابعة صباحًا في يوم عيد الفصح، 12 أبريل 1655، وأمروا بذبح كل رجل وامرأة وطفل من الوالدنسيين في منازلهم. وقد نُفذ هذا الأمر بوحشية في وادي لوسيرنا في ذلك الصباح، وتبعه ثلاثة أسابيع من حكم الإرهاب الذي أسفر عن مذبحه لآلاف الأرواح في جميع أنحاء أوطان الوالدنسيين. ونقل الناجون من الوالدنسيين الأخبار إلى جنيف، وفي غضون ثلاثة أسابيع من مذبحه عيد الفصح، وصلت الأخبار إلى إنجلترا وأوليفر كرومويل.

لقد أمر كرومويل بإعداد تقرير كامل مكتوب يوضح تفاصيل مذبحه الوالدنسيين، وفيما يلي مقتطف من النتائج الرسمية التي تم تقديمها إلى كرومويل. ولم يتم التمييز بين الأعمار أو الجنس، حتى لو كان هناك أطفال. وبغض النظر عما إذا كانوا أغنياء أو فقراء، ومتعلمين أو غير متعلمين، فإن الخيانة التي تلت ذلك شملت العديد من الأشخاص الذين احترقت منازلهم وهم بداخلها.

بعضهم عُلق من أقدامهم، والبعض الآخر مزق إربًا. بعضهم جُرح وشُق، ثم سُكب الملح والفلفل على جروحهم، وأعيدوا ارتداء قمصانهم. بعضهم جُرِّدوا من ملابسهم وقُيِّدوا مع كثيرين غيرهم وأُلقوا من أعلى الجبال.

، لقد تم تثبيت بعضهم بالمسامير على الأرض، وتم طعن آخرين على الأوتاد. وتم اغتصاب العديد من النساء، ثم تم قطع رؤوسهن. وتم إلقاء الأطفال أسفل الجبال، وتم تشريد آخرين على يد الجنود.

لقد تم إلقاء الأطفال الرضع في الهواء وطعنهم بحراب بعض الجنود. وبمجرد الانتهاء من وادي لوسيرنا ووادي بيليتشي، ذهبوا إلى وديان بيرو ووادي تشيسوني ووادي سان مارتين-جيرمانوسكا، حيث أمروا الناس بحضور القداس أو مواجهة المنفى في غضون 24 ساعة. وبمجرد معرفة التفاصيل في جميع أنحاء أوروبا البروتستانتية بمدى هذه المذبحة وحكم الإرهاب الذي استمر ثلاثة أسابيع ضد الوالدنسيين، كان رد الفعل هو الغضب الشديد بين كل من القادة ومواطني الدول التي كانت متحالفة مع البروتستانتية.

، كان السكرتير الشخصي لكرومويل هو الشاعر والكاتب جون ميلتون. ومنذ أربعينيات القرن السابع عشر درس ميلتون أقدم الكنائس الإصلاحية، وهي كنيسة والدنيسيس. ومن خلال دراساته، استنتج أن هذه الكنائس لها علاقة بأصول الكنيسة الحقيقية للمسيحية القديمة

وبعد أن قرأ ميلتون تقرير شهود العيان في وديان الوالدنسيين الذين شهدوا الفظائع المسجلة، كتب من كرومويل مراسيم شديدة اللهجة إلى الزعماء البروتستانت في السويد والدنمرك وهولندا وسويسرا وترانسيلفانيا، وكان ذلك بمثابة حشد الدعم المعنوي والمادي لاستراتيجية كرومويل المتمثلة في ممارسة ضغوط دبلوماسية كبيرة على بيت سافوي. وكان رد فعل هذه الدول سريعاً وقوياً. كما كتب ميلتون أيضاً رواية مفصلة للغاية عن الفظائع التي ارتكبت ضد قوات سافوي ووجه اتهاماً لاذعاً وحامضاً إلى قيادة بيت سافوي.

لقد كان الرد الموحد والقوي من جانب الزعماء البروتستانت في أوروبا ضد الدوق غير متوقع على الإطلاق من جانب آل سافوي. كما كتب ميلتون السوناتة الشهيرة عن المذبحة التي وقعت في بيدمونت، والتي جاء فيها انتقم يا رب لقدسيك المذبوحين الذين تناثرت عظامهم على جبال الألب الباردة. حتى في ذلك الوقت، يا من حافظت على نقائك الحقيقي منذ القدم عندما كان كل آبائنا يعبدون الأخشاب والحجارة، لا تنس في "كتابك أنينهم

من هم خرافك، الذين قُتلوا في حظيرتهم القديمة على يد البييمونتيين الملطخين بالدماء الذين دخلوا الأم وطفلها أسفل الصخور، وتضاعفت أنيناتهم إلى التلال، وصعدوا إلى السماء. دماؤهم ورمادهم الشهداء، أو أن كل الحقول الإيطالية قد هدأت، سيطر على الطاغية الثلاثي حتى ينمو من هؤلاء مائة ضعف. من تعلم طريقك مبكراً، قد يهرب الويل البابلي

لقد تأثر كرومويل بشدة بالفالدينسيين وغضب بشدة من التقارير التي تحدثت عن مذابح الفالدينسيين التي قادتها قوات سافويارد. فأرسل مبعوثاً خاصاً يتمتع بمكانة دبلوماسية، السير صمويل مورلاند تورين، لمقابلة الدوق في جميع أنحاء بريطانيا البروتستانتية. وأمر كرومويل بإعداد التقرير الكامل بعنوان "مجموعة الأوراق المرسلة إلى صاحب السمو، اللورد الحامي لكومنولث إنجلترا"، بشأن المذابح الدموية والوحشية التي تعرض لها البروتستانت الذين يقطنون وادي بيدمونت

وأمر بنشر هذه الوثيقة وقراءتها في كل أبرشية بروتستانتية. كما تم تبادلها مع زعماء أوروبيين آخرين. وكان لهذه الوثيقة، إلى جانب السونيتة التي كتبها ميلتون، تأثير توحيد أوروبا البروتستانتية في إدانة معاملة دوق سافوي لرعاياه

، كما أمر كرومويل بتحديد يوم للصيام والإذلال والصلاة في الرابع عشر من يونيو/حزيران من عام 1655، تخليداً لذكرى ضحايا مذبحة عيد الفصح. وفي ذلك اليوم نفسه، دعا كرومويل إلى جمع التبرعات لإغاثة الوالدنسيين المنكوبين والمضطهدين الذين كانوا، إذا كانوا لا يزالون على قيد الحياة، يتجولون الآن مع زوجاتهم وأطفالهم الصغار في جوع وبرد وعري. وفي مختلف أنحاء أوروبا، انتشرت على نطاق واسع أخبار المذبحة وتفاصيل القصص الفظيعة العديدة بين عامة الناس، وحث مواطنو تلك الدول حكوماتهم على ممارسة الضغوط الدبلوماسية على آل سافوي ومعاملتهم القاسية لرعاياهم

لقد فاجأت سرعة الاستجابة الدولية وإدانة معاملة آل سافوي لرعاياهم البلاط الدوق وأصابته بالدهشة التامة. فاعد ميلتون خطاباً باللغة اللاتينية ليلقيه مورلاند على آل سافوي. وفي هذا الخطاب، تخلى عن كل ضبط النفس الدبلوماسي وأطلق العنان لغضبه الشديد ضد معاملة الدوق لرعاياه

إن المقطع التالي يعكس نبرة الرسالة. آه، تلك البيوت المحترقة التي لا يزال الدخان يتصاعد منها، والأطراف الممزقة، والأرض الملطخة بالدماء. الملائكة ترتجف من الرعب

لقد اندهش الرجال، حتى السماء ذاتها بدت مندهشة من صراخ الرجال المحتضرين، حتى أن الأرض نفسها شعرت بالخجل. لقد تم اغتصاب العذارى

أكل لحوم البشر. حرق كبار السن من المرضى أحياء. رمي الأطفال الرضع على الصخور أو ذبحهم

وقد ذكر الخطاب هذه الأهوال وغيرها. واختتم مورلاند خطابه بقراءة هذا الخطاب أمام المحكمة الدوقية. "بهذه الكلمات": لا تلجأ، يا الله الأعظم، إلى الانتقام بسبب هذا الشر العظيم والأفعال الشريرة المروعة

فليغسل دمك يا المسيح هذا الدم. كان شارل إيمانويل الثاني دوق سافوي، الذي كان في الحادية والعشرين من عمره في ذلك الوقت، عاجزاً سياسياً. تولت والدته السيدة رويال زمام الأمور، واستجابت لبيت سافوي بتشكك رافض فيما يتعلق بصحة التقارير

وحتى فرنسا تعرضت لضغوط من إنجلترا، وهددتها بتعطيل معاهدة منفصلة بين الدولتين من أجل حث آل سافوي على التوصل إلى تسوية بين الوالدينسيين. ولكن آل سافوي نجحوا بمهارة في تأخير أي محاولة للمفاوضات. وفي انتظار التوصل إلى تسوية دبلوماسية، حث كرومويل السويسريين على شن هجوم على سافوي، من أجل الضغط من أجل التوصل إلى نتيجة مواتية للوالدينسيين

ولكن السويسريين كانوا يخشون اندلاع حرب أهلية مع آل سافوي لأن العديد من كانتوناتهم الجنوبية كانت تقع في مقاطعات خاضعة لسيطرة آل سافوي. ومرت أسابيع، وضغط الدبلوماسيون البروتستانت من أجل تمرير معاهدة سريعة. وفي أواخر أغسطس/آب من عام 1655، اقترح آل سافوي هدنة من نوع ما، وتم التوقيع عليها على مضض. ومن الواضح أن الدبلوماسيين البروتستانت اعتبروا اقتراحهم غير مرضٍ للوالدينسيين

كان كرومويل قد تأخر في الخروج ولم يتمكن من المناورة. ولقد عرض كرومويل، الذي أصابه الإحباط بسبب الفشل الدبلوماسي، على اللاجئين الوالدينسيين إعادة توطينهم في الأراضي الأيرلندية التي غزاها هو وقواته قبل بضع سنوات. ومن عجيب المفارقات أن هذه الأراضي كانت مملوكة في السابق للكاثوليك الأيرلنديين، وكان سكانها أنفسهم قد قتلوا أو نفوا بسبب وحشية جيش بروتستانت في منطقة كاثوليكية كثيفة في أيرلندا الشمالية

ولكن الولدينسيين لم يكونوا مهتمين بأي خطة استيطانية من شأنها أن تبعدهم عن أوطانهم الحبيبة. وفي وقت لاحق، توصل جون ميلتون إلى اعتقاد راسخ من خلال قراءة التاريخ الوحيد المتاح في عصره عن شعب الولدينسيين، والذي كتبه بيير جيلز ونُشر في عام 1644، والذي دعم الادعاء بأن جذور الولدينسيين تعود إلى القرن الرابع الميلادي وتبرع قسطنطين للبابا سيلفستر

كان كل من ميلتون وكرومويل يؤمنان إيماناً راسخاً بأن الولدينسيين هم الكنيسة الحقيقية، وأن أصولهم تعود إلى العصور القديمة. وقد قادتهما شغفهما العميق بالبروتستانتية المتزمتة إلى الاعتقاد بأن الدفاع عن الولدينسيين المضطهدين هو دفاع عن الإيمان المسيحي الحقيقي ذاته. وكانت مراسلات ميلتون مع رؤساء الدول البروتستانتية مقترنة بالزعامة السياسية الحاسمة والحاسمة التي يتمتع بها كرومويل بين أوروبا البروتستانتية تعني أن أوروبا البروتستانتية توصلت أيضاً إلى الاعتقاد بأن الولدينسيين هم حراس المسيحية القدماء أيضاً

كان الاعتقاد السائد في أيامهم وزمانهم أن الهجوم على الوالدنسيين كان هجوماً على جسد المسيح نفسه وبعبارة أخرى، كان كرومويل وميلتون يعتقدان أن الدفاع عن الوالدنسيين كان بمثابة الدفاع عن جوهر المسيحية. ووفقاً من خلال فهم هذه الحقيقة يمكننا أن ندرك الأهمية الأعمق لتأثير كرومويل وميلتون على السياسة والسلطة الأوروبية في عصرهما

وفي ظل الزعامة القوية التي تمتع بها كرومويل، والتي عززها ذكاء ميلتون وقوة قلمه في التأثير على المشاعر العامة، برزت أوروبا البروتستانتية كقوة واحدة قوية في الدفاع عن اللاجئيين الوالدنسيين. وفي عصره، كان هذا المستوى من الوحدة الدبلوماسية البروتستانتية غير مسبوق في التاريخ الأوروبي. ومن خلال حساسياتنا الحديثة، يمكننا بسهولة أن نحدد التناقضات والمعايير المزدوجة التي كانت تعمل في شخصية كرومويل وقيادته السياسية والعسكرية

إن الرجل نفسه الذي أمرت قيادته العسكرية بتدمير مجتمعات كاثوليكية بأكملها بقوة وحشية مدمرة، سوف يتحول بعد سنوات قليلة وينسق الدعم المالي لكل كنيسة بروتستانتية في إنجلترا ويحفز التدخل السياسي للدول البروتستانتية في جميع أنحاء أوروبا دفاعاً عن الوالدنسيين المضطهدين. وكان لتسامحه كحامي للطوائف البروتستانتية المختلفة، التي كانت تسعى إلى الحرية الدينية في إنجلترا في القرن السابع عشر، آثار بعيدة المدى على التطور البريطاني لحقوق الحريات الدينية. في حين أظهر عدم تسامحه مع معارضيه السياسيين في البرلمان، الذين استُهدفوا بلا رحمة وسُخروا منهم علناً، تكتيكات دكتاتور سياسي وحشي

في شغفه الشديد بإيمانه المتمتت، لم يكن كرومويل يرى معاملته القاسية وتدميره لمجتمعات كاثوليكية بأكملها. ومع ذلك، عاش كرومويل في خضم الإصلاح المضاد، عندما كانت الكنيسة الكاثوليكية الرومانية منخرطة بنفس القدر، إن لم يكن أكثر، في مذبحه مجتمعات بروتستانتية بأكملها. كانت الكاثوليكية الرومانية عدواً مميئاً وخطيراً للبروتستانتية، كما يتضح من قانون المذبحة الوحشية ضد الوالدنسيين

ولم يكن الكاثوليك ولا البروتستانت مثلاً للسلام الذي أظهره المسيح في التعامل مع بعضهم البعض. بل إن كلا الجانبين لم يلتزم بإرادة الله في التعايش السلمي. ومن نواح عديدة، كان أوليفر كرومويل زعيماً عسكرياً وسياسياً لامعاً في إنجلترا، ولا شك أنه خدم كحامي للوالدينين في واحدة من أكثر نقاط ضعفهم وتهديدتهم في تاريخهم الذي امتد 850 عاماً

ولولا كرومويل وميلتون اللذين عملا كمدافعين دوليين عن البروتستانتية في أواخر خمسينيات القرن السابع عشر، لكان بقاءهم كشعب قد واجه مستقبلاً أكثر خطورة. وباختصار، كان كرومويل لغزاً في التاريخ البريطاني والأوروبي. ففي صميم إيمانه، ظل متواضعاً أمام الله والشعب، كما تجلى في رفضه المتكرر لقبول تاج إنجلترا على الرغم من التشجيع القوي والمستمر من العديد من العاملين السياسيين والمواطنين على حد سواء

ورغم أنه أساء استخدام السلطة في معاملته لخصومه السياسيين ومارس ضغوطاً كبيرة على الساسة المترددين في عصره، إلا أنه كان سياسياً تقدماً ركز على تعزيز الديمقراطية لصالح عامة الناس. وفي التحليل النهائي، خلال فترة حكم كرومويل القصيرة التي استمرت خمس سنوات بصفته اللورد الحامي لإنجلترا وفي دوره الذي عين نفسه فيه اللورد الحامي للوالدينسيين، بذل كرومويل جهوداً أكبر لتعزيز مبادئ الديمقراطية لعامة الناس في إنجلترا مقارنة بما بذله الملوك البريطانيون أو أي زعيم آخر قبله. وعلى نحو مماثل، بذل هو وجون ميلتون جهوداً أكبر لرفع مستوى الاضطهاد ضد الوالدنسيين وقضيتهم في أوروبا البروتستانتية في ذروة الإصلاح المضاد مقارنة بأي شخص غير الوالديني

ولكننا نحفظ بهذا الكنز في جرار خرفية حتى يتضح لنا أن القوة غير العادية تنتمي إلى الله وليست ملكاً لنا ومن المثير للاهتمام أن كرومويل، بصفته اللورد الحامي، حكم إنجلترا على أساس فرضية التصرف وفقاً لما هو

صالح للشعب وليس ما يرضي الجماهير. وعلى مدى ما يقرب من خمس سنوات، أرغم الناس على تناول وجبة ثقيلة من التقوى

وقد حُظرت جميع الألعاب الرياضية التي تُقام يوم الأحد، وفُرضت قيود على بيع الكحول، كما عوقبت جرائم الفجور علناً. وكانت التوقعات والقيود الدينية التي فرضها البرلمان الذي يهيمن عليه المتشددون في أربعينيات القرن السابع عشر تشمل حظر الاحتفال بعيد الميلاد باعتباره موسماً للفرح والمرح. وكان هذا في جزء منه محاولة لإظهار الهيمنة الكاملة على كل النفوذ الكاثوليكي في الأمة، ولكنه كان أيضاً نتيجة لفرض مدونة سلوك كالفينية صارمة على الناس

نتيجة للانتصار على جيش الملك في نازبي عام 1645، حظر كرومويل وأتباعه المخلصون كل الممارسات التي تعوق الكاثوليكية، بما في ذلك الاحتفال بعيد الميلاد كعيد للفرح. تم تأليف القصيدة التالية في الأشهر التي تلت الانتصار في نازبي ولم تعكس معارضة المواطنين الكاثوليك الرومان فحسب، بل وبدائيات المقاومة البروتستانتية لتكشف البيوريتانية الإنجليزية في القرن السابع عشر. تسمى القصيدة "العالم مقلوب رأساً على عقب".

استمعوا إليّ، وستسمعون، لم نسمع أخباراً كهذه منذ ألف عام منذ هيرودس وقيصر وغيرهما الكثيرين، لم تسمعوا مثلها من قبل. لقد احتقر الناس الأعياد المقدسة، وابتكروا أزياء جديدة، وطُرد عيد الميلاد من المدينة، ومع ذلك فلنرض، والأوقات تندب. كما ترون، لقد انقلب العالم رأساً على عقب

لقد فرح الحكماء بميلاد مخلصنا المسيح، وأبشر الملائكة، وفرح الرعاة وغنوا. فليتخذ كل الشرفاء منهم قدوة، فلماذا نلتزم بالقوانين الصالحة؟ ولكن دعونا نرضى، والأوقات تندب. كما ترى، العالم مقلوب

لقد صدرت الأوامر؛ يجب أن نطيع وننسى تمامًا، يا عيد الميلاد، اقتل ألف رجل أو استعيد مدينة. سنقدم الشكر والثناء، آمين. سيصدر صوت رنين في إناء الخمر، وسنحتفل ونشرب، ثم ستنتشر الأفكار الغربية

ولكن دعونا نرضى، فالزمن يبكي. كما ترى، لقد انقلب العالم رأساً على عقب. إن أمراءنا وفرساننا، وحتى النبلاء، يتعمدون التخلي عن العادات القديمة

يضعون بواباً على الباب، ولا يدخل أحد من اليمين. يعتبرون دخول الفقراء خطيئة؛ فالضيافة نفسها "غرقت. ومع ذلك، فلنكن راضين، والأوقات تندب

كما ترى، انقلب العالم رأساً على عقب. يجلس الخدم ويتذمرون ويعتقدون أن وقت العشاء قد حان. لا يزال الخادم بعيداً وإلا فإن سيدتي تحتفظ بالمفتاح

ينظر الطاهي المسكين في المخزن. أين لا نجد الخير؟ ومع ذلك، فلنرض، والأوقات تندب. كما ترى، لقد "انقلب العالم رأساً على عقب

وفي الختام، سأخبركم بالخبر الصحيح. قُتل كريسماس في معركة ناسبي. وقُتلت تشاريتي في نفس الوقت

، جاك ديلتروث، صديقي، مات أيضاً في ذلك الوقت. لحم مشوي وفطيرة مقطعة إلى شرائح، وخنزير، وأوزة. ولحم خنزير؛ لم يُعثر على أي أثر. ومع ذلك، فلنرض ولنحزن على الوقت

كما ترى، لقد انقلب العالم رأساً على عقب. باسم الآب والابن والروح القدس، آمين. هذا عمل عظيم في تعليمه لتاريخ الولدنسين

،هذا هو الدكتور كيفن فريديريك في محاضرتة عن تاريخ الوالدنسيين .هذه هي الجلسة 11، اللورد الحامي أوليفر كرومويل.